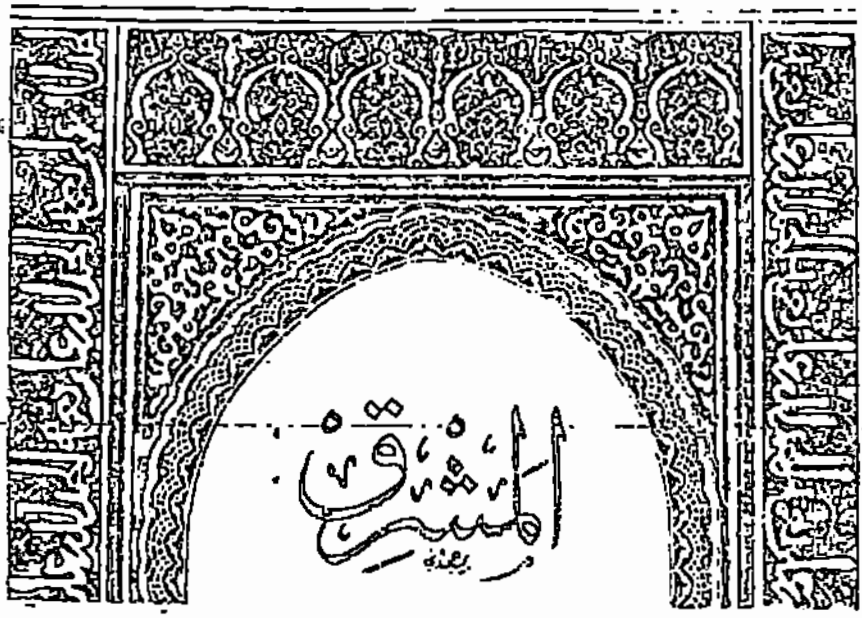

السنة الحادية والثلاثون — تشرين الثاني ١٩٣٣

٧٨١ البدأ

الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤_١٨٣٢)

مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية من مجمع مار هرمزد

بقلم الشماس يوسف نادر الانطوني الماروني

نوطة

ص الثابت ان السيرة الرهبانية قد انتشرت في مختلف البلاد المشرقية انتشارًا سريعاً يذهل العقول . ففي ارض بابل وكلدو واثور قد بثّ مبادئها ماري أوون او اوجين احد رهبان دير تابثة وتلميذ القديس بخوميوس الشهير († ٣٤٨) كما اشار الى ذلك المؤرخ اليوناني سوزومينوس[1] فكثر عدد تلاميذه وفاح اريج نسكهم حتى ان القديس

(١ Sozomène. *Hist. VI*, 38, 1391

ايرونيموس[1] اضطرّ ان يكتب بهذا الصدد : « انه لا يوجد بلاد بعد مصر غا فيها الرهبان اكثر من بلاد ما بين النهرين . »

وفي غروب القرن الرابع قد زارت تلك البلاد التقية سيلفيا[2] وشهدت اديارها ومحابسها ودهشت بفضائل رهبانها ونساكها وعابداتها . ولا حاجة الى ذكر اسماء القديسين الاماجد افراط ويعقوب وافرام وتلاميذهم الابرار لانهم اشهر من نار على علم . لكن ما كادت السيرة الرهبانية تنمو وتزهو وتثمر اثاراً شهية وفقاً لتعليم الكنيسة الكاثوليكية حتى ظهرت الشيعة النسطورية[3] في القسطنطينيه ونفثت في بلاد ما بين النهرين وفارس سمومها القتالة في المعتقد القويم وسيّئت مفاسد شتى في الآداب.

لا نكير ان المذهب النسطوري قد عرف رهباناً كثيرين وذُكرت سجاياهم الطيبة ومؤلفاتهم النفيسة في ادب اللغتين السريانية والعربية ، خاصة في القرنين السادس والسابع . لكن شتان ما بينهم وبين آبائهم الكاثوليكيين الاقدمين سواء في قواعد الايمان والآداب او في نتائجها العملية العديدة .

فشذوذهم عن الايمان المستقيم وتوارد الاضطهادات والمحاولات المذهبية العقيمة وتخييم الجهل المُطبق أوصلهم رويداً رويداً الى انحطاط عظيم يُرثى له . حتى امحى ذكر الرهبانية تماماً في اوائل القرن السابع عشر.

١ً نجدد الرهبانية في بلاد ما بين النهرين

لكن الرب القادر على كل شيء اراد ان يقيم على اطلال اديار الرهبان النساطرة وآثارهم المندثرة رهبانية كلدانية كاثوليكية تستمد من المدة البطرسية نفسها انوارها ومبادئها وقوتها ، وترتكز على صخرتها ، وتجدد امجاد الرهبان القديسين الاولين الذين بفضائلهم قدسوا البلاد الكلدانية الاشورية . فما بزغت شمس القرن التاسع عشر حتى اختار الرب لتلك الغاية الشريفة تاجراً كلدانياً

(١) S. Hieronymus, *Comm. in Isaiam* V, 20

(٢) *Sylviæ Peregrinatio*, 64 *etc* ..

(٣) راجع مقالتنا في هذا الموضوع في مجلة « المشرق » (٢٩ [١٩٠١] : ٦١٣ ، ٧٢٩)

كاثوليكياً من ماردين عُرف باستقامة معتقده وحسن تعبده وشدة نشاطه ، الا وهو الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤—١٨٣٢) . ففي سنة ١٨٠٨ وفقه الرب الى انشاء رهبانية كلدانية كاثوليكية في دير رَبّان هرمزد بالرغم من الصعوبات الشديدة والاضطهادات العنيفة التي سبقت تأسيسها ، ورافقته ، وتبعته . لكنها ثبتت قوية بتدبير الرب وعونه . وقد ختم الاب المؤسس البار سيرته العجيبة بالاستشهاد فاصطبغت رهبانيته الجديدة بدمه الزكي الذي اصبح بذاراً مباركاً لرهبان عديدين نشيطين في كرم الرب . وقد وصف ذلك كله وصفاً بليغاً حضرة القس اسطفان كنجو على صفحات مجلة « النجم » الغرّاء في اعدادها لسنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ ، وفي حياة المؤسس التي نشرها على حدة في المطبعة الكلدانية بالموصل سنة ١٩٣٢

٢ً ابن ابتدأ الاب جبرائيل دنبو ؟

ذكر هذا المؤرخ الناهض في كتابه الآنف الذكر (صفحة ٥) ما يلي : « وانتشل جبرائيل من بين احضان والديه وذهب الى جبل لبنان حيث دخل الى دير للموارنة في سنة ١٨٠٠ وكان عمره حينئذٍ ستاً وعشرين سنة . »

وفي ملخص سيرة الاب المذكور التي نشرتها مؤخراً رسالة قلب يسوع البيروتية [1] . « ذهب جبرائيل الى لبنان سنة ١٨٠٠ ودخل في احد ادياره الرهبانية الانطونية المارونية . وكان وقتئذٍ ابن ستّ وعشرين سنة . »

بعد الدرس الطويل قد تحققنا ان الاب جبرائيل دنبو قد ابتدأ في دير مار اشعيا مهد الرهبانية الانطونية المارونية ، بجوار برمانا . وهذه حقيقة تاريخية راهنة لا شك فيها نثبتها الآن بالبراهين الآتية :

١ً ان التقليد في الرهبانية الانطونية المارونية يفيد ان الاب جبرائيل دنبو الكلداني قد ابتدأ فيها .

اخبرني بعض مشايخ رهبانيتنا (اخص بالذكر منهم حضرة القس سمعان

١) رسالة قلب يسوع (١٤ [١٩٣٣] ١٤٢)

مطار من جديدة كسروان المترهب منذ ٦٠ عاماً بنيف ، وقدس الاباتي لويس عبيد النائب العام لدى الكرسي الرسولي ، نقلاً عن الشيخ الجليل مؤرّخ الرهبانية المرحوم الاباتي عمانوئيل بعبداتي (١٨٤٢—١٩٣٢) ، الذي اخذ ذلك عن الرهبان رفقاء جبرائيل دنبو في الابتداء وغيرهم لا حاجة لذكرهم ، انهم حين انخراطهم في سلك الابتداء سمعوا قدماء الرهبنة يحدثونهم عن فضائل تاجر كلداني تقي الهمه الرب ان يترك بلاده ، ما بين النهرين ، واشغاله العالمية ، ويأتي الى جبل لبنان ويبتدئ في ديرنا مار اشعيا . وبعد الابتداء رجع الى وطنه حيث اسس لطائفته الكلدانية رهبانية كاثوليكية على شكل رهبانيتنا وقانونها .

وما هذا التاجر سوى الاب جبرائيل دنبو الذي لا تنطبق هذه الاوصاف على آخر سواه .

على اننا قلبنا كثيراً سجلّي الناذرين الاحياء والموتى في الرهبانية الانطونية المارونية فلم نعثر فيهما على ذكر اسمه . وما ذاك الا لان سجلّ الاحياء قد خصص بالذين ابرزوا نذورهم فيها دون سواهم . نعم ان جبرائيل قد دخل في رهبانيتنا بين المبتدئين في دير مار اشعيا ، لكنه لم ينذر فيها . فلذلك لم يسجل اسمه بين الناذرين . وهذا كما ترى برهان لا ردّ عليه .

ومثل ذلك ان مؤرّخ الرهبانية لا يدوّن في سجلّ الموتى الا اسماء الرهبان الذين ماتوا في حضنها . اذ اننا نجد بعض من نذروا دُوّنت اسماؤهم في سجل الناذرين الاحياء ، ولا نجد لها ذكراً في سجلّ الذين ماتوا في حظيرتها . وما ذلك الا لانهم لم يثبتوا في جسم الرهبانية الى النفس الاخير .

وكثيراً ما فتشنا بين اوراق مكتبة دير مار اشعيا وآثارها النفيسة لعلنا نعثر على شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل دنبو في الرهبانية الانطونية فلم نوفّق الى ضالتنا المنشودة . لكننا وجدنا بين سجلات هذا الدير لسنة ١٨٤٠ ، في ٩ كانون الاول ، على عهد رئاسة القس ابراهيم نصر البسكنتاوي العامة ، اسم راهب كلداني كان من الرهبان ساكني دير مار اشعيا يدعى « القس مرقس الكلداني . » ولربما قصد هذا « القس مرقس » لبنان وترهب في الرهبنة الانطونية المارونية محمولاً بمثل القس جبرائيل ، وهو من معاصريه .

لكن لا يخفى على احد ما سببته من الاضرار الفادحة في الآثار التاريخية تلك الاضطرابات الدينية السياسية التي صبغت لبنان وجواره بدماء ابنائه المشرّدين تحت كل كوكب مكتفين باللامة غنيمة تاركين وراءهم الثوّار يدلعون السنة النار في بيوتهم واديارهم وكنائسهم ومكاتبهم ، اعني المذابح اللبنانية بين السنة ١٨٤٢ والسنة ١٨٦٠ . ولسوء الحظ قد كان دير مار اشعيا ، مهد الرهبنة واهم مراكزها ، حيث عاش جبرائيل دنبو ، واقفاً في ميدان تلك الحوادث المشؤومة . لم يهب الثوار الجهلة ان يتركوا النار تذهب بتلك الآثار التي ذهب معها تاريخ الرهبنة جلّه .

فاذا لم يتوفر لدينا شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل في الرهبنة الانطونية المارونية فلا يحصل من ذلك حجة بان جبرائيل دنبو لم يأتِ لبنان ويبتدئ في الرهبنة المذكورة . فعوضاً عن المخطوطات لا يزال التقليد حيّاً في رهبانيتنا لاسيما لقربه منا .

٢ وصدى هذا التقليد يتراجع بامانة بين ارجاء اديار رهبانية الاب جبرائيل نفسه على غير سابق علم ، قبل دخولنا في هذا البحث ، كما رأيت في تأليف القس اسطفان كجو ورسالة قلب يسوع . وما هذا التوافق بين التقليدين الا حجة دامغة يجب احترامها .

٣ وزد على هذا التقليد المستمرّ في الرهبانيتين الانطونيتين المارونية والكلدانية تقليداً آخر خارجاً عنهما سمعناه من مصدر ذي ثقة في رومية ايام دروسنا الكهنوتية العالية في مدرسة مجمع انتشار الايمان .

ذلك ان الطيب الذكر السيد رولاري (Mgr. Rulleri) ، آخر كتبة اسرار مجمع نشر الايمان المقدس في الفرع الشرقي قبل انشاء مجمع الكنيسة الشرقية ، اخبر بتاريخ الطوائف الشرقية ورهبانياتها بما لديه من الآثار الرسمية في خزائن المجمع المشار اليه والتسليم المتواصل عن سلفائه في الوظيفة . قال يوماً امامنا :

« ان مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا وقد اخذ قوانينكم المثبتة . »

٤ لما امّ الاب جبرائيل دنبو رومية السنة ١٨٢٧ ، وبقي فيها ثلاثة اعوام باذلًا الجهد للحصول على تثبيت الكرسيّ الرسولي لرهبانيته الحديثة ، قدّم كتاب قوانين الرهبنة الانطونية الذي اخذه معه حين ترك دير مار اشعيا بعد ابتدائه ، فيه طالباً اعطاء هذه القوانين مثبتة ثانية لرهبنته الحديثة . وهذا ظاهر من ان الكرسي الرسولي اعاد طبع كتاب قانون وفرائض رهبنة القديس انطونيوس من مجمع مار اشعيا بالنصّ اللاتيني فقط ، ووزّعه على نيافة الآباء الكرادلة وحضرات المستشارين الرسوليين ليدرسوا تلك القوانين ويوفقوا بينها وبين اصول الطقس الكلداني الكاثوليكي . وما اقرب تلك الفكرة الى العمل اذ بعد قليل بان لهم الامر سهلًا فعملوا به .

فجاءت قوانين الرهبنة الكلدانية نسخة طبق الاصل عن قوانين الرهبنة الانطونية المارونية ، ما عدا ما كان منها خاصاً بالموارنة دون سواهم .

أُدخلت في القوانين الكلدانية شريعة النذور البسيطة المؤبدة التي لم تكن قد أُدخلت في الرهبنات القانونيّة وقت تثبيت القوانين المارونيّة ، كما قد أُعطي رهبان الاب جبرائيل ثوب (*Scapolare*) القديس مبارك ، تمييزًا لهم عن ثوب الرهبان الموارنة .

وفي دير مار يوحنا مارون في رومية العظمى التابع الرهبنة الانطونية المارونية ثلاث نسخ من هذه الطبعة اللاتينية الصرفة المحكي عنها قدمها السيد رولاري المذكور .

٣ في اي دير من ادبار الرهبنة الانطونية المارونية ابتدأ جبرائيل دنبو ؟

١ في معهدها دير مار اشعيا المخصص آنذاك لقبول المبتدئين في الرهبنة المذكورة . فان سجل الناذرين يصرّح بذلك « دير مار اشعيا المخصص للمبتدئين » وذلك من السنة ١٧٤٠ الى السنة ١٨١٥ .

وعند مجيء جبرائيل الى دير مار اشعيا ١٨٠٠ ، كان الاب مرتينوس الحاج بطرس رئيساً عاماً .

٢ زد على ذلك ان السيد رولاري اكد الامر بقوله : « ان الاب جبرائيل

دنبو قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا . »

فلم يبقَ اذًا من شك في ان البار جبرائيل قد تمرَّس على مبادئ النسك الرهباني في الرهبنة الانطونية المارونية في اكبر اديارها واولها ، دير مار اشعيا الراهب الحلبي ، الواقع في جوار قصبة برمانا القريبة من مدينة بيروت.

٤ لماذا لم يبقَ جبرائيل دنبو في الرهبنة الانطونية المارونية ؟

بعد ان انجز جبرائيل مدة سنتي الابتداء ، وكان فيها قدوة صالحة لاخوته الذين لا يزالون حتى يومنا يذكرون باعجاب سمو فضائله ، تردد في امره هل يستمر في لبنان او يعود الى وطنه . فكشف افكاره لرئيسه حسب امر القانون . فامره بالالتجاء الى الصلاة طلباً للاستنارة الروحية ففعل .

وكان احد الآباء العازاريين قاطني دير عنطورة يتردد غالباً الى دير مار اشعيا لعلاقات كانت بين الديرين ، وذلك ان الرؤساء قد فوّضوا الى قدس الرئيس العام ارسال احد رهبانه ليقوم بارشاد راهبات دير الزيارة في عنطورة التابعات قانون القديس فرنسيس سالس مع بقائهنّ في الطقس الماروني . وكان هذا المرسل من جملة من استشارهم جبرائيل في دعوته ، فاشار عليه ان يعود الى بلاده ، وهناك يؤسس رهبنة كلدانية قائدة الكنيسة في تلك الامصار . وكانت هذه ارادة الله كشفها جبرائيل على يد هذا المرسل وشجعها وباركها الرئيس العام ، وفرح بها الرهبان الذين زوّدوا اخاهم جبرائيل النصائح والارشادات مع كتاب القوانين وكتاب الصلوات الصغيرة المارونية القانونية المفقودة من الطقس الكلداني . وخرج من دير مار اشعيا تاركاً مهد الرهباني الى كلدو حيث دعاه الله ليكون رئيس رهبان كثيرين كما دعا ابراهيم قديماً من البلاد ذاتها الى الارض المقدسة ليكون ابا شعب عظيم[1]

فيا لها من نعمة سامية ظهرت في دير مار اشعيا ، وتحققت في دير ربّان هرمزد ! ابتدأ جبرائيل عمله الخطير مبتدئاً انطونياً مارونياً ، واكمله راهباً

---

١) راجع سيرة الاب جبرائيل دنبو للمرحوم اسطفان كجو صفحة ٥ و ٢١

انطونياً كلدانياً ، ليظهر الله بذلك ارادته ومسرّته باتحاد هذه الطوائف الشرقية وتعاونها على عمل البر ونشر مملكة المسيح في شتى الوسائل . ان القديسين لا طائفة لهم بل هم اخوة من اين كانوا ، وباي اسم تسموا هم جنود الله والكنيسة . هكذا كنت ترى جبرائيل الكلداني مكرّماً معززاً محبوباً بين معلميه الموارنة . وهكذا كنت تراه كلدانياً جالساً ازاء المارونيّ اخوين يرضعان ثدياً واحداً لام واحدة في مهد واحد ، فيا لسر محبة رجال الله القديسين !

فبالحق ان مهد ونشأة الرهبنة الانطونية الكلدانية كان في حضن امها الرهبنة الانطونية المارونية في دير مار اشعيا حيث خرج جبرائيل دنبو بعد مدة امتحانه القانوني ، حاملاً ليس فقط كتاب قانون وصلوات هذه الرهبنة بل عوائدها الصالحة وروحها المقدس وارشاداتها ونصائحها وترتيباتها الحسنة .

الخاتمة

هكذا دبرت العناية الالهية انْ يكون ابتداء جبرائيل في دير مار اشعيا الحلبي (+ ١٤٠٠) تلميذ القديس اوجين ليكتسب مبادئ النسك الصادق تحت حماية القديس اشعيا ويجدد في بلاده الكرمية في مستهل القرن التاسع عشر السيرة الرهبانية التي كان قد نشرها فيها من قبل بنحو اربعة عشر قرناً معلم مار اشعيا القديس اوجين الجليل ويعززها بتين التثبيت الرسولي الروماني ويصبغها بدمه الزكي المسفوك شهادة للايمان المقدس .

فاليكم يا انطوني كلدو واثور من انطوني لبنان الف تحية وسلام بالرب وما تجمع بينكم وبيننا وحدة الاسم فقط ، بل وحدة الروح ايضاً ، فضلاً عن وحدة العوائد والرسوم الرهبانية . وليكن مباركاً اسم « المبتدي الانطوني الماروني » « المؤسس الانطوني الكلداني » جبرائيل دنبو !

ومن الرب نطلب ان يتنازل ويرفع باقرب وقت عبده الامين المنشئ البار على مذابح العالم .

المثوري افرام ايض الحلبي

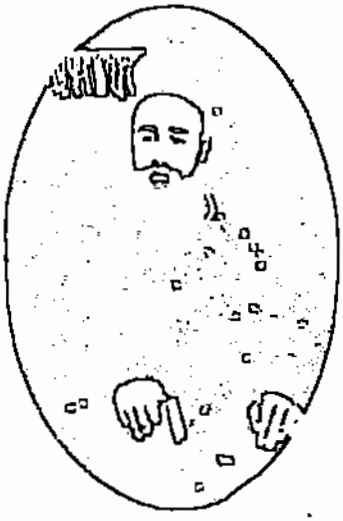

المثوري موسى مركيس الدمشقي

المثوري روفائيل بردحاني المارديني

المطران ثيوفيلس انطون قندلفت

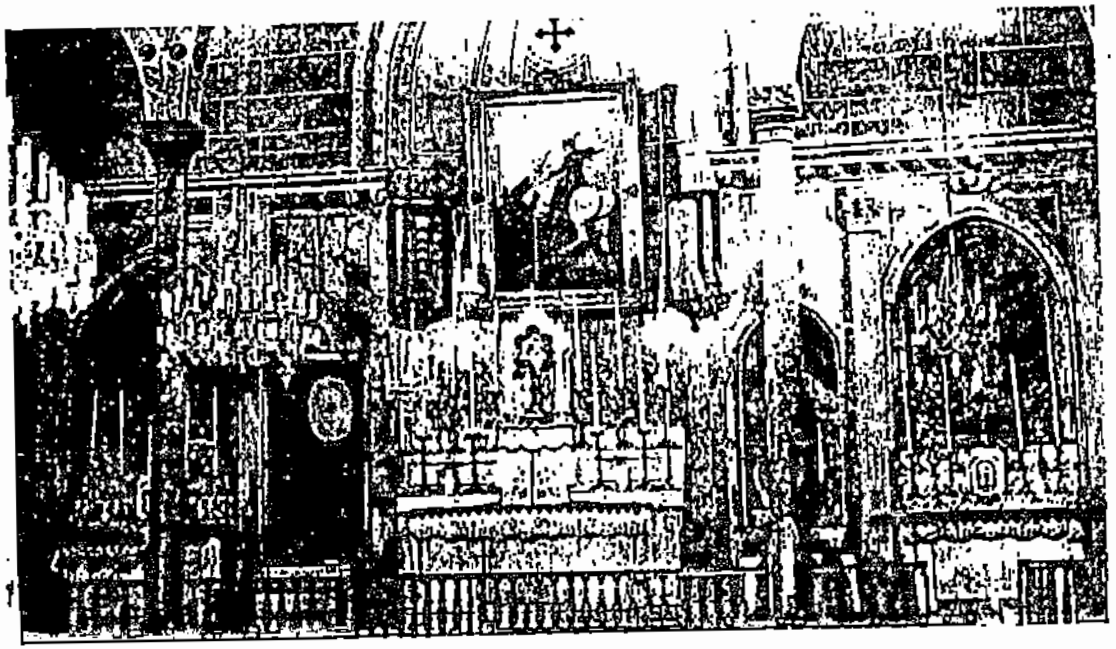

داخل كنيسة القديس جاورجيوس السريانية في بيروت